" الناصر لدين الله الموفق "

ودوره في العصر العباسي الثاني

****

دكتور :

عبد المنعم أحمد الدسوقي

مدرس التاريخ الاسلامي

كلية التربية - جامعة المنصورة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

***

مقدمة

السبب الذى دفعنى للحديث عن الناصر لدين الله أبى أحمد الموفق بن المتوكل أن المؤرخين أهملوا شأنه اثناء حديثهم عن العصر العباسى الثانى فجعلوا جل اهتمامهم بالخلفاء وسيرتهم وأخبار دار الخلافة هذا وقد أنبهر بعضهم بكثير من القادة الأتراك الذين ظهروا فى هذا العصر أمثال اشناس وايتاخ وموسى بن بغا وغيرهم وأفردوا أبحاثا للحديث عنهم ، ولم يلتفت أحد منهم الى الدور الذى أداه أبو أحمد الموفق للدولة العباسية وتصديه للمحاولات الهدامة التى استهدفتها ، فنهض بالأمر وأعاد التوازن بين القوى المختلفة لصالح الدولة وشعبها بعد أن سيطر الأتراك على مقدرات الأمور حتى أصبحوا مراكز قوى ، كما أن الموفق أحدث انتعاشا للسلطة الحاكمة ، فقد ظل ثلاثة وعشرين عاما يمارس الخلافة باقتدار دون مبايعة فصال وجال وحقق انجازات لم يحققها كثير من الخلفاء وقضى على أشكال التذمر داخليا وخارجيا ، وقضى على الثورات السياسية والمذهبية ، واتسع نشاطه حتى شمل كل مجالات الدولة ، فأعجب به الناس واستولى على مشاعرهم ٠

واهتم الموفق بكل مرافق الدولة ، فأولى الجيش عنايته ، كما أهتم بالناحية العمرانية على المستويين المدنى والعسكرى شأنه فى ذلك شأن أى خليفة غير أنه لم يتوج ٠

وفى هذا البحث تتبعت سيرته الذاتية منذ مولده واستعرضت أعماله فى محتلف المجالات ، فأرجو أن أكون قد وفقت فى عرض الموضوع ، والله الهادى الى سبيل الرشاد ،،

د ٠ عبد المنعم الدسوقى

***

اغسطس ١٩٩٠ م

الموفق قبل تولية المسئولية :

هو الأمير الناصر لدين الله ـ الموفق ـ طلحة ابن المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، كان مولده يوم الأربعاء الموافق الثانى من ربيع الأول سنة ٢٢٩هـ / ٨٤٤م في سامراء عاصمة الدولة العباسية فى خلافة عمه هارون الواثق ٢٢٧هـ ـ ٢٣٢هـ / ٨٤٢ـ ٨٤٧ م وقد تميزت الفترة التى ولد فيها بظهور مايسمى الغلمان الأتراك ، فخافهم الواثق والقى بمقاليد أموره لوزرائه وقواده منهم ٠ حيث قسم دولته اداريا بين اثنين منهم ، الأول اشناس الذى تولى ادارة السلطة فى الدولة وأسند اليه أعمال الجزيرة وبلاد الشام ومصر (١) بينما تولى ايتاخ ادارة أقاليم خراسان والسند وكور دجله (٢) الا أنهما لم يفارقا سامراء حتى يظلا على مقربة من الخليفة ، ومن ثم ازداد نفوذهما حتى أصبحا

---

(١) جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء ط١ دار القلم بيروت ١٤٠٦ ص ١٣٥ ٠

(٢) اشناس وايتاخ من الغلمان الأتراك الذين وفدوا الى بغداد فى عصر الخليفة المعتصم ، أشتراهما الخليفة والتحقا بالجيش ، وقد أعتمد عليهما فى حربة ضد الروم فى موقعة عمورية ٢٢٣ هـ تحت قيادة حيدر ابن كاوس ـ الافشين ـ فتولى اشناس مقدمة الجيش فى حين تولى ايتاخ الميمنة وارتفع قدرهما فى عهد الخليفة الواثق وشاركا بصورة فعاله فى ادارة الدولة ٠
المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٣ ، دار الاندلس ، بيروت ١٩٦٦ ص٤٧٢ ، ابن الاثير ٠ الكامل فى التاريخ : دار صادر بيروت ١٩٦٦ ، ج٧ ، ص ٤٣ ، ٤٧ ٠

يتدخلان فى اختيار الخلفاء ، وعمت سيطرة الأتراك حتى أخذوا صفة أهل الحل والعقد وحجبوها عن أهلها (٣) ٠

واذا كان الواثق قد أخطأ فى أنه ترك الأمر بأيدى الاتراك فى حياته الا أنه لايعدل خطأه فى أنه لم يعهد لأحد من بعده ، فقد مات دون أن يكون للدولة ولى عهد ، فضرب بذلك التقليد الذى سار عليه الخلفاء منذ عصر معاوية ابن أبى سفيان (٤) وبذلك وجد الأتراك الفرصة مواتية للسيطرة والسيادة فاقتنصوها وتمسكوا بحق التولية والعزل واشتطوا فيه ، وفى عهد أبيه أبى جعفر المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ ـ ٨٦١م) حاولت الخلافة جاهدة استعادة هيبتها على حساب الأتراك ، فاوقع المتوكل بهم ، وفرق بينهم ، وجعلهم شيعا واحزابا الأمر الذى سهل له اغتيال ايتاخ ، الا أنه لم يتمكن من وقف نفوذهم فى العراق فحاول نقل الخلافة الى دمشق ولكنه لم يوفق فى ذلك (٥)

وقد شهد الموفق مصرع أبيه على أيدى الاتراك وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، فقد كان معه فى المجلس الذى قتل فيه حينما تآمر عليه ولده المنتصر بالله مع موسى بن بغا التركى ، فأمر موسى الناس بالخروج من مجلس المتوكل ، فخرج الموفق ضمن الخروج ، وقدّم موسى شرابا للمتوكل حتى سكر ، وأمر أحد أتباعه يسمى بُغا الشرابى بغلق جميع الأبواب غير باب الشط ليدخل منه القوم الذين عُينوا لقتل المتوكل فبصر بهم أبو أحمد

---

(٣) د ٠ حسن أحمد محمود ، د ٠ أحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، طبعة دار الفكر العربى سنة ١٩٧٧ ، ص٣٢٧ ٠

(٤) يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، طبعة دار الفكر بدمشق ١٠٤

(٥) ابن جرير الطبرى : تاريخ الطبرى ٠ دار سويدان ببيروت ،ج٩، ص٢١٠ ٠

الموفق ، فصاح فيهم · ماهذا ياسفل ، فنظر فاذا السيوف مستلة ، وتقدم الأتراك وقتلوا المتوكل على مرآى ومسمع منه ، وحاول أن يحول دون قتل أبيه ، غير أنهم بادروه بضربتين أفقدوه الوعى ، فلما رأى الغدر فى أعين القتله هرب لينجو بنفسه (٦) ·

لم يحتل الموفق موقعا فى خلافة أخيه المنتصر (٢٤٧ ـ٢٤٨ هـ/٨٦١ ـ٨٦٢م) الذى كان أداة طيعة فى أيدى الأتراك لأنه لم تستقم له الأمور الا على أيديهم، وكانوا هم يخافون وصول واحد من أخويه المعتز والمؤيد فيسعى للخلاص منهم لذلك ألحوا على الخليفة فى خلعهم ، ولم يزالوا به حتى خلعهم وهم مرغم ، وأظهر ضعفه عن مقاومة أمر الأتراك (٧) ·

وفى خلافة السمتعين (٢٤٨ ـ٢٥١هـ/٨٦٢ ـ٨٦٥م) كان الموفق يرقب الأمور عن بعد ، فهو يعلم أن المستعين مدان بعرشه للأتراك الذين قلدوه الحكم بعد أن أستبعدوا أبناء المتوكل اعترافا منهم بفضل مولاهم المعتصم (٨) كما أجبر الأتراك الخليفة المستعين على أن يسيىء معاملة أهله ، فصادر أموال المعتز والمؤيد أبناء أخيه المتوكل وحجر عليهما ، ووكل بهما الأتراك ، فلم يترك للمعتز من الأملاك الا مايدر عليه عشرين ألف دينار فى السنة ، بينما ترك للمؤيد مايحصل منه على خمسة الآف دينار فقط(٩) الأمر الذى جعل الموفق ينحاز الى أخويه ضد عمه المستعين وقاد الحزب المعارض لسياسته ، واجتهد فى اقناع محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ـ عامل المستعين على بغداد ـ واجتمع رأيهما على خلع المستعين

---

(٦) الطبرى · تاريخ الطبرى ج٩، ٢٤٧ (٧) ابن الاثير :الكامل،ج٧، ١١٣

(٨) الطبرى : تاريخ ، ج٩ ، ٢٥٩ (٩) المصدر السابق ، ٢٥٨

وأن يترك دار الخلافة وينتقل الى مكة هو ومن شاء من أهله (١٠) ولما ضاق الخناق حول المستعين خلع نفسه من الخلافة فى المحرم سنة ٢٥٢ هـ/٨٦٦ م وتنازل للمعتز ، فكافأ المعتز أخاه أبا أحمد الموفق على جهوده فى اقرار الأمور له بأن استدعاه الى سامراء ، وخلع عليه وتوجه بوشاحين وقلنسوه مجوهرة .

مما سبق يتبين لنا أن أبى أحمد الموفق بدأ يشارك بصورة مؤثرة فى سياسة الدولة ، وربما ساعدت مشاركته فى تقليص دور الأتراك - ولو بصورة مؤقته - حيث أنه لم يعتمد عليهم فى تنفيذ عملية اقصاء المستعين ، بل استعان بمحمد بن عبد الله بن طاهر ، وكما هو معلوم فارسى الأصل ، قربه أبو أحمد اليه بعد ماكان بينهما من حروب سوف تعرض لها فى حينها ان شاء الله .

على الرغم من الدور الذى أداه أبو أحمد الموفق لخدمة أخيه المعتز حيث كان له الفضل فى اقصاء المستعين عن الخلافة وتأكيدها له ، ونجاحه فى جمع الكلمة له من كل الأطراف المتنازعة من الأتراك والفرس ، وأصبحوا أعداء المستعين بعد أن كانوا أخلص رجاله ، على الرغم من ذلك تنكر المعتز له ، وللحق نقول : ان الموفق لم يشترك فى عملية اغتيال عمه المستعين حيث لم يرد عن ذلك خبر ، ويبدو أن ذلك تم دون استشارته خوفا من اعتراضه ، فاما أن يكون المعتز كلفه بالأمر فرفض فوكل خادمه سعيد الحاجب فقتله (١١) وإما أن يكون المعتز قد لجأ الى الاتراك

---

(١٠) المسعودى : مروج الذهب ، ج٤ ، ٧٨ .

(١١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص٣٣٥ ، ٣٣٦

فقاموا بالمهمة فى محاولة منهم لارضاء الخليفة واقصاء الموفق حتى يظل الخليفة بدون رجل قوى يحميه كى تستمر لهم السيطرة على دار الخلافة ولاتتهدد مصالحهم الخاصة ٠

على أية حال لم يكن المعتز عادلا مع آخويه ، ولم يعترف بصنيع أبى أحمد الموفق ، فبدلا من أن يكافئه على صنيعه تنكر له ولأخيه المؤيد ، فخلع المؤيد من ولاية العهد وتخلص منه بعد ذلك بالاجهاز عليه (١٢) وبنفس القدر كان موقفه من أخيه الموفق فلم يترك له فرصة للاستقرار فى مكان حتى لايكوّن عصبية فنفاه مرة من سامراء الى واسط ، ثم خافه فنقله الى البصرة وظل بها الىأن وقعت العصبية وشغب العامة فقتله الى بغداد سنة٢٥٣ هـ/ ٨٦٧ م فى دار دينار بن عبد الله فى الجانب الشرقى من بغداد (١٣) فعلم الناس بذلك فهاجموا دار سليمان بن عبد الله بن طاهر - والى بغداد - وهتفوا باسم أبى احمد ودعوا الى بيعته وسألوه أن يريهم أبا أحمد فأظهره لهم ووعدهم المصير الى محبتهم ان تأخر عنهم مايحبون فانصرفوا عنه بعد أن آكدوا عليه فى حفظة (١٤)٠

والراصد لتصرف المعتز تجاه أخيه الموفق يدرك مدى الضعف الذى وصل اليه الخليفة بسبب ارتمائه فى احضان الأتراك ، وسماعه لوشايتهم حينما أحسوا الخطر فى وجوده يتهددهم ، ولاشك انهم يعرفونه جيدا فقد وجدوا فيه شخصية قوية ظهرت حينما تولى قيادة الجيش المرسل من قبل المعتز

(١٢) عبد العزيز اللميلم : نفوذ الأتراك فى الدولة العباسية ج٢ ، ٦٨
(١٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبه المعارف بيروت ،ج١١،ص١٢
(١٤) الطبرى : تاريخ ،ج ٩ ، ٣٩٢ ٠

لخلع المستعين ، وقدرته على التغيير ، وليس من المستبعد أن يكونوا هم المستهدفين منه بعد ذلك ، أوهم بغيته ، لذلك حرصوا على اقصائه على الرغم من أن الخليفة كان يحبه لأنه فى نظره كان أنجب أولاد المتوكل (١٥) لكن الخليفة على هذه الحال لايملك سوى مافعل فقد حاول الخليفة المهتدى أن يغير من سياسة سلفة ويقضى على الاتراك ، الا أنه لم يستعن بأحد من أخوته فى ذلك ، بل قرب اليه العلماء ليجعل منهم قوة معادلة للاتراك، وقال يوما : أريد قلع هؤلاء الاتراك وتطهير الدينا منهم ، فلما علموا بذلك استوحشوا منه وأظهروا الطعن عليه (١٦) وأحس العامة بألازمة فطالبوا الخليفة أن يعزل عنهم القواد الأتراك وأن يولى عليهم أحد من اخوته فوعدهم بالاجابة ، ولما أصبح الناس من الغد طالبوه بالوفاء بما وعد فاعتذر لهم بالعجز عن ذلك (١٧)٠

والرأى عندنا أن المهتدى لو استعان بأخيه أبى أحمد الموفق لاستطاع تحقيق التوازن المنشود فهو - أى أبو أحمد - كان يعرف كيف يتعامل معهم وكيف يتآلف قلوب العامه حول الخليفة ، ليتقوى به على أضعاف مركزهم ولكن الخليفة حاول ارضاء الناس وتسكينهم دون تحقيق رغبتهم ، فبعث اليهم أخاه الأكبر أبا القاسم برساله يعتذر فيها اليهم ويطيب نفوسهم

---

(١٥) اللميلم : الاتراك ، نقلا عن مخطوط تاريخ دول الاعيان ، لابن أبى عذيبة ج٣ ، ٦٣ ٠

(١٦) ابن واضح اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى ، دار بيروت للطباعة سنة١٩٨٩ ، ج٢ ، ٥٠٦

(١٧) أبن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، طبعة ١٩٧١ ، ج٣ ، ٣٠٤ ٠

ويعدهم بالاصلاح (١٨) غير أنه لم يجبهم حينما كتبوا اليه أن يولى أخاه الموفق أمر الجيش أنه يجب أن يتفقد ذلك بنفسه ، وأنه يحب أن يطّلع على كل أمرهم ومافيه مصلحتهم ، وأنه مختار لهم ماسألوا من اخوته أو غيرهم (١٩) .

وظل المهتدى الذى أراد الاقتداء بالخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز (٢٠) ظل عاجزا عن كبح جماح الاتراك مثل عمر الذى وأد كل الفتن التى خلفها عصر من سبقه ، وذلك لأن الأحوال العامة من حوله كانت فوق طاقته، فقد استهل عهده بثورة العامه فى بغداد ، ثم ثار عليه الجند بعد ذلك بسبب استيلاء والى بغداد على رواتبهم ، كما انتشرت ثورات العلويين فى كثير من البلاد الاسلامية وبدأت ثورة الزنج التى أفقدت الدولة الأمن والأمان لمدة غير قصيرة ، هذا بالاضافة الى ثورة الخوارج فى الموصل ، وخروج احمد بن عيسى بن الشيخ - ابن والى فلسطين - وغلب على الشام واستولى على دمشق (٢١) .

ولكى يتخلص المهتدى من قبضة الأتراك أقبل على إعمال الوقيعة والدس بينهم ، وذلك لافتقاره الى سلاح المواجهة ، وقبض على بايكباك زعيمهم وقتله ، ودفع الخليفة حياته ثمنا لهذا العمل اذ هجم عليه الأتراك فقتلوه واحضروا أخاه احمد بن المتوكل وبايعوه بالخلافه ولقبوه بالمعتمد على

---

(١٨) الطبرى : تاريخ ، ج٩ ، ٤٤٧ (١٩) المصدر السابق ٤٤٩

(٢٠) المسعودى : مروج الذهب ، ج٤ ، ١٠٣

(٢١) احمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى، ٣٤٢

الله (٢٢) وهذا يؤكد أن الفرقة التى وقعت بين الخلفاء العباسيين وذويهم كانت سببا فى ضعفهم وانفراد الأتراك بهم ، فكم قتلوا من الخلفاء ومثّلوا بهم دون أن يتصدى لهم أحد من أسرته ، ودون أن يثأر له الخليفة القادم مخافة نفس المصير ، ولاشك أن المعتمد قد شاهد يوم توليته ماحدث لعمه المهتدى عندما استحل الاتراك دمه ، وداسوا خصيتيه وصعقوه حتى مات بعد أن أخرجوه من السجن الذى وضعوه فيه (٢٣) لذلك كان عليه أن يوافق طوعا أو كرها اسناد بعض الاعمال الى أحد اخوته لكى يحدث نوعا من التوازن بين الخلافة والأتراك . وهذا ماحدث حينما استعان بأخيه أبى أحمد الموفق كان من نتيجته انتعاش الخلافة العباسية بعد فترة من الضعف نحو ربع قرن من الزمن .

الموفق ومسؤولية الخلافة :

وصل الخليفة المعتمد الى الخلافة فى رجب سنة ٢٥٦ هـ ـ٨٦٨م ، فى وقت كانت ظروف الدولة بالغة التعقيد ، فقد بلغ نفوذ الموالى مداه ، وتحولت ثورات الاتراك التى كان يمكن للخليفه القضاء عليها او تحجيمها ، تحولت الى محاولة بعض الولاة الاستقلال بالولايات وسلخها عن الدولة ، أو على الأقل الاحتفاظ بالسيادة الاسمية لها ، ففى المشرق استطاع يعقوب بن الليث الصفار تكوين دولة فى اقليم سجستان وكرمان سنة ٢٤٥ / ٨٦٧ (٢٤) وقضى على الدولة الطاهرية ولم

---

(٢٢) يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية،١١٩

(٢٣) ابن الاثير : الكامل ،ج٧ ، ٢٣٠

(٢٤) الطبرى : تاريخ ، ج٩ ، ٣٨٢ ، وسجستان ولاية واسعة جنوب هراة من بلاد خراسان اهم مدنها زرنج ، ياقوت الحموى :معجم البلدان ، دار بيروت ، ج٣ ، ١٩٠ .

يأبه بموقف الخليفة المعتمد حينما أصدر مرسوما باعتباره مغتصبا للدولة الطاهرية (٢٥)٠

وفى مصر تمكن أحمد بن طولون أن يؤسس له امارة مستقلة عن الدولة العباسية ، وكان قد وصل اليها نائبا عن بايكباك ومن بعده يارجوخ وكلاهما تركى (٢٦) ولم يسلم جنوب العراق من البطش ، فقد انتشرت فيه ثوره الزنج وضم اليه كثير من بلاد السواد ، هذا الى جانب موقف القادة الأتراك الذين كانوا على استعداد للتصادم مع الخلافة اذا لزم الآمر وعزله بنفس الصورة التى بايعوه بها ٠

كان الخليفة المعتمد ضعيفا كما توقع الأتراك عاجزا عن تدبير الأمور ومواجهة المشاكل التى انتشرت فى انحاء الدولة المختلفة ، وظل المعتمد يواجه الأحداث وحده حتى كاد الأمر ان يفلت من بين يديه ووجد الخلاص فى الاستنجاد بأخيه أبى أحمد الموفق ليكون سندا له فى مواجهة العواصف وهو مالم يفعله خليفة من قبله ، وكان أبو أحمد منفيا فى مكة منذ عهد الخليفة السابق المهتدى فأرسل اليه فى ذى الحجة سنة ٨٦٨/٢٥٦م يستقدمه فقدم اليه ودخل سامراء ليبدأ معه عهدا جديدا (٢٧) ٠

يذكر المؤرخون أن الخليفة المعتمد شعر بحاجته الى اخيه الموفق للوقوف معه فى وجه الثورات التى استفحل خطرها وأصبحت تهدد الخلافة

---

(٢٥) يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ويذكر أن يعقوبا كان يعمل قبل ذلك فى تصفير الأوانى النحاسية٠

(٢٦) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ١٨٧ (٢٧) الطبرى ، تاريخ الطبرى،ج٢، ٤٧٥ ٠

مثل ثورة الزنـج (٢٨) والواقع أن الخليفة كان يحتاج الى رجل قوى ، ايا كان هذا الرجل ، فهو لم يستدعه بفعل عاطفة الأخوة التى تجمع بينهما ، بقدر حاجته لتحقيق المصلحة ، وفى تصورنا أن الخليفة لو وجد رجلا أكفأ من أخيه لما توانى فى الاستعانة به ، ولكن الظروف التى أحاطت به كانت أقوى منه ، وعلى كل حال فقد أحسن المعتمد الاختيار واحسن الموفق القيام بما كُلف به حتى نال استحسان الناس واستحسان الخليفة ٠

جهاد الموفق ضد الزنـج :

بداية لن تتحدث عن ثورة الزنج الا من الزواية التى تخدم البحث فقد كانت معظم ثورات العلويين التى ظهرت فى العراق أيام الخليفة العباسى المعتصم (٢١٨/٢٢٧ هـ) ومن جاء بعدهم كان أكثرهم من فرقة الزيدية ، وكان من أئمة الزيدية رجل يسمى على بن محمد بن أحمد ابن عيسى بن زيد اختفى بالبصرة أيام الخليفة المهتدى ، وطارده عمال الخليفة غيرأنهم لم يظفروا به فقبضوا على ابن عمه على بن محمد بن الحسين وقتلوه (٢٩) فخرج رجل من أهل قرية ورزنين من أعمال الرى (٣٠) يدعى أنه ينتسب الى الحسين بن على بن أبى طالب (٣١) بينما هو فى

---

(٢٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ٠ دار الاندلس سنة١٩٦٥ ج٣ ، ص ١٢

(٢٩) ابن خلدون : تاريخ ، ج ٣ ، ٣٠١

(٣٠) الرى مدينة مشهورة بجوار نيسابور قرب بحر قزوين شمال الدولة العباسية ، ياقوت معجم البلدان ، ج٣ ، ١١٦

(٣١) يذكر المسعودى غير ذلك فيقول انه ينتمى الى الحسين بن على وليس الحسين على خلاف المصادر ٠ انظر : ج٤ من مروج الذهب ، ١٠٨

الواقع ينتسب الى قبيلة عبد القيس ، كان جده لأمه محمد بن حكيم من أهل الكوفة اشترك مع زيد بن على بن الحسين فى ثورته ضد الخليفة هشام بن عبد الملك (٣٢) ٠

خرج على بن محمد بن عبد الرحيم ـ صاحب الزنج ـ الى منطقة هجر (٣٣) مدعيا أنه أُنزل عليه آيات من القرآن الكريم تدل على اختياره إماما للناس، وانتقل من هجر الى منطقة الاحساء ثم عاد الى البحرين وأخذ ينتقل بين البادية فأجتمع اليه جمع غفير من الناس السذج واعتقدوا أنه نبى ينفذ فيهم حكمه ويأمرهم بمحاربة السلطان (٣٤) والواقع أن صاحب الزنج ادعى أنه ينتسب الى العلويين لاضفاء هالة على حركة تعمل على جذب الناس ، وذلك لكثرة خروج الزيدية فى هذه الأيام (٣٥) وهو لم يُظهر من الأعمال مايؤكد انتمائه الى الشيعة ، ولم يعتقد فى مذهبهم ، فالشيعة لايحلون قتل النساء والأطفال والشيوخ كما فعل (٣٦) فقد قيل أنه كان يستأسر نساء المسلمين ويبيعهن فى الأسواق بأبخس ثمن ، وينادى على الشريفة العلوية بدرهمين، وكان عنده الزنجي الواحد يساوى عشرة شرائف يحق له أن يطأهن ويمتهنهن فى الخِدَم الشاقة (٣٧)٠

---

(٣٢) الطبرى : تاريخ الطبرى ، ج٩ ، ٤١٠
(٣٣) هجر : ناحية من البحرين وقيل هى البحرين ، وتسمى هجر البحرين الحموى ٠ معجم البلدان ، ج٥ ، ٣٩٣
(٣٤) ابن الاثير : تاريخه ، ج٧ ، ٢٠٦ ٠
(٣٥) بحثنا فى كتب جمهرة الانساب للتحقق من اثبات نسبة فلم نعثر على اسمه فى سبط الحسين بن على ممايدل على ادعائه ٠
(٣٦) حسن أيوب : تبسيط العقائد الاسلامية ، دار الندوة بيروت ، ٣٠٠،٣٠١
(٣٧) عبد الملك بن حسين العصامى : سمط النجوم العوالى ، ج٣ ، ٣٤٨

وكذبا ادعى صاحب الزنج فى مرحلة تالية أنه ينتهج نهج فرقة الخوارج الازارقة - احدى فرق الخوارج واكثرها تشددا (٣٨) وربما قصد بادعائه الانتماء اليهم اضفاء روح المغامرة والبطولة على حركته فينجذب اليها الناس خاصة المتطلعين منهم الى اعلان العصيان ، وهو مايسميه بعض المؤرخين بالنزعة الديمقراطية التى تتلائم مع ميول أصحابه ، وهو فى الحقيقة كما ذكرنا لاينتمى الى أى من المذهبين الشيعة أو الخوارج ، ولم يتلزم بمبدأ معين بل كانت تحكمه المصلحة الشخصية وهذا ماجعل كثير من المؤرخين يطلقون عليه لقب الدعى والخبيث ، وطاغية الزنج (٣٩)٠

بالبحث فى أصول ثورة الزنج نجد أن لها أصلا سياسيا ، فقد استغل صاحب الزنج ضعف الخلافة العباسية ، وانصراف الناس عنها ، وكثرة المغامرين ، ونجاح بعضهم فى الاستقلال عن الدولة فنهض هو الآخر بمغامرة غير أنه لم يركز على اقليم بل ركز على طبقة مطحونه - الطبقة الدنيا - ونجح فى اقناعها بمبادئه التى يدعو اليها بخصوص تحريرهم ورفع مستواهم من ناحية ، وبعث أملهم فى امكانية الحصول على الحكم الذاتى (٤٠)

أما الأصل الاجتماعى فى ثورة الزنج فيظهر فى تركيز صاحبها فى دعوته على الجماعات التى كانت تمتهن الحرف البسيطة التى لاتُدر عليهم دخلا كبيرا ، فقد كان معظمهم يقوم بتجفيف المستنقعات وازالة الطبقة

---

(٣٨) قد يتفق فكرة مع فكر الخوارج الازارقة الذين ظهروا فى بلاد فارس فى العصر الأموى فى عدائهم للسلطان ومغالاتهم فى معاملة المسلمين الشهرستانى : الملل والنحل ،ج١ ، ١٣٤ ٠

(٣٩) الذهبى : كتاب دول الاسلام ج١ ، ١٥٧

(٤٠) العش : تاريخ عصر الخلافة ، ١٢٣

الملحية عن الأرض ومنهم من كان يقوم بنقل البضائع ، وبالطبع فأن أجورهم لاتفى باقامة حياة كريمة ، كما كانوا يقطنون فى أماكن غير صحية تكثر فيها المستنقعات وينتشر فيها كثير من الأوبئة (٤١) علاوة على ذلك كانوا أميين لايعرفون مبادىء العلم ، ولم تربط بينهم سوى رابطة تدانى المنزلة الاجتماعية حتى أنهم لم يكونوا من جنس واحد فمنهم السودان ، ومنهم العبيد من الصومال وزنجبار وغيرها ، وقد أحسن صاحب الزنج استغلالهم لتحقيق أهدافه فالتفوا حوله ، وانطلق بهم معلنا العصيان ٠

الأصل الثالث لثورة الزنج هو الأصل الاقتصادى ، فمن وصف حالة الزنج الاجتماعية يمكن الحكم عليهم بأنهم كانوا يعانون الفقر وقلة الدخل حتى ان كثيرا منهم لم يجد من المال مايساعده على الزواج فعاشوا عزابا (٤٢) وعدم ارتباطهم بأسر يحررهم من قيود كثيرة ، ويجعلهم يميلون الى المغامرة وخاصة أن صاحبهم قد أباح لهم السطو على القرى ونهب الأموال وسرقة الماشية واقنعهم بمشروعية ذلك الفعل (٤٣)

بدأ صاحب الزنج دعوته فى اقليم هجر وتبعه كثير من أهلها ثم تجول فى منطقة البحرين ومنها سار نحو البصرة ، ولكنه ووجه بثورة الجند بهسا وطارده محمد بن رجاء الحضارى عامل الخليفة ولم يلحق به ، كما هرب هو واصحابه من مطاردة عامل مدينة واسط لهم ، وواصل سيره حتى وصل بغداد سنة ٢٥٥ هـ /٨٦٩م (٤٤) وظل بها عاما حتى قويت شوكته وهزم جيوشا كثيرة

(٤١) اللميلم : نفوذ الأتراك ، ١٥٠
(٤٢) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ج٨، ٢١١
(٤٣) الطبرى : تاريخه ،ج٩ ، ٤٣٧
(٤٤) المصدر السابق ، والجزء ، ٤١١ ، ٤١٢

أرسلها الخليفة قادها جعلان التركى ، ومن بعده سعيد الحاجب ، كما انتصر على منصور بن جعفر الخياط الذى أرسله الخليفة المهتدى لقتاله بعد فشل سعيد الحاجب ، وانتشرت جيوش الزنج فى أنحاء العراق وخوزستان والبحرين والبصرة وواسط والاهواز (٤٥) والنعمانه ورامهرمز (٤٦) وأشاعوا الرعب فى قلوب الناس ، وتقدموا حتى أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من حاضرة الخلافة، فسير اليهم المعتمد قائده التركى الشهير موسى بن بغا غير أنه لم يفعل شيئا معهم وتفاقم خطر الزنج (٤٧) ٠

عندما أدرك المعتمد عجز رجاله عن التصدى لثورة الزنج التى باتت تهدد مشرق الدولة ، رأى أنه لامفر من الاستعانه بخبرة أخيه أبى أحمد الموفق فارسل اليه يستقدمه من منفاه فى مكة فى شهر صفر سنة٢٥٧هـ/٨٧١ ، فلما ورد عليه فى سامراء كلفه بحماية الجزء الشرقى من الدولة فعقد له على الكوفه ومكة واليمن ، وهذه هى المرة الاولى ابان العصر العباسى الثانى الذى يعهد فيها الخليفة لأحد من أفراد أسرته لمعاونته فى ادارة شئون الدولة ، وربما كانت المرة الأولى التى يعهد فيها خليفة عباسي لرجل من العرب منذ الفتنة التى حدثت بين الأمين والمأمون فى نهاية القرن الثانى الهجرى حينما استعان المأمون بهرثمة بن أعين ، وقد أصاب المعتمد فى أختياره للموفق ، فقد

---

(٤٥) الأهواز وخوزستان : خوزستان اقليم واسع بين البصرة وفارس ويشتمل على مدن كثيرة والأهواز جزء من خوزستان وبها مدن مثل سوق الاهواز وجندى سابور ، ورامهرمز وغيرها ٠ القلقشندى ، صبح الأعش ، ج٤ ، ٣٤٠ _ ٣٤٤

(٤٦) رامهرمز مدينة مشهورة بنواحى خوزستان ٠ ياقوت : المعجم ، ج٣ ، ١٧

(٤٧) احمد ابراهيم الشريف ، العالم الاسلامى فى العصر العباسى ٣٥٢

اجتهد في تحجيم النفوذ التركي ، وبالتالي ساعد على استعادة الخلافه لمركزها

بعد سبعة أشهر من وصول الموفق الى العراق ونجاحه فيما وُكل اليه

زادت ثقة الخليفة فيه ، وفوض اليه أمر المشرق ، فعقد له في رمضان من نفس

السنة ٢٥٧ هـ على بغداد ومنطقة السواد وواسط وكور دجله والبصرة والأهواز

وبلاد فارس (٤٨) بالاضافة الى ماكان لديه من البلاد ، وكان من الطبيعي أن

ينهض الموفق الذي كان في الثامنة والعشرين من عمره لاقرار الأمور في ولايته

ولم يضع الوقت فأسرع في التصدي لحركة الزنج بارسال جيش لمحاربتهم في ربيع

الأول سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧٢ بقيادة رجل يسمى مُفلح التركي (٤٩) التحم معهم في

قتال شديد هرب على اثره صاحب الزنج أن وافاه الخبر بمقتل مُفلح فعاد وتقدم

هو ورجاله في الوقت الذي تحيز فيه أبو أحمد الموفق الى الأبلة (٥٠) وجمع

فلول جيشه ليستعد لجولة أخرى (٥١) ٠

---

(٤٨) الطبري : تاريخه ، ج٩ ، ٤٧٦

(٤٩) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ١١١ ولم تذكر المصادر بقيه أسمه

(٥٠) الأبلة ٠ بلدة على شاطيء دجلة في زاوية الخليج الى البصرة وهي أقدم منها ، مصرت أيام عمر بن الخطاب ٠ ياقوت الحموي المعجم ،ج١، ٧٧

(٥١) يذكر الطبري في احداث سنة٢٥٨ وكذلك ابن الاثير أن الموفق شخص من سامراء الى البصرة لحرب الزنج ووصل الى ارض المعركة على نهر معقل وقاد الحرب الى أن قتل قائدة مفلح فانحاز هو الى الآبله ، غير أن سير الاحداث لايتفق مع ماأوردة ، حيث أن صاحب الزنج سأل رجلين من رؤساء قادته عن قائد جيش العباسيين فاخبراه في انهما اجتهدا في معرفة ذلك ولكن احدا منهما لم يقف على ذلك مع العلم بأن الموفق كان معروف لديهم ، وهذا مايجعلنا نقول بأن الموفق حينما وصل الى البصرة اقام بها وارسل جيشا من قبله بقيادة مفلح التقى بالزنج ، ويؤيد ابن خلدون رأينا في أن مفلحا كان في مقدمة الموفق ، وهذا يدل على ان الموفق لم يلتق بالزنج في هذه المعركة ٠ الطبري ٠ تاريخ ،ج٩،٤٩٢،٤٩٣ ، وابن الاثير : تاريخة ج٧،٢٥٢، ابن خلدون٠ تاريخ ابن خلدون ،ج٣ ، ٣٠٧ ٠

قضى الموفق بقية العام سنة٢٥٨ مع آصحابه فى منطقة باذا ورد (٥٢) معسكراً للاستعداد فأمر باصلاح الآلات ، واعطاء الجند أرزاقهم وأمر باصلاح المعابر المحيطة بالزنج ، وعندما اكمل الاستعداد تقدم نحو معسكر الزنج والتقى بهم عند نهر أبى الخطيب (٥٣) غير أنه فوجئ بقوتهم واستعوت الحرب ودارت الدائرة على جندة ، فأمرهم بالرجوع الى سفنهم متحيزا ، وانتهت المعركة بهزيمة الموفق وتعتبر الهزيمة الثانية لجيش الخلافة ، واشعل الزنج النار فى معسكر الموفق بعد ولى رجاله وكان الجو عاصفا فترك المنطقة وانصرف الى واسط وقد تفرق عنه أصحابه وواصل سيره الى سامراء (٥٤)٠

أنشغل الموفق عن حرب الزنج بحرب يعقوب بن الليث الصفار ، وندب لحربهم قادة موسى بن بغا ، وجدّ موسى فى السير اليهم بجيش على مقدمتة عبد الرحمن بن مفلح ، والتقى بالزنج فى منطقتة الأهواز فهزمهم وقتل كثير من رجالهم (٥٥) ونجح من قطع الميرة عنهم من البصرة ، وظل موسى على حربهم الى أن عزله الخليفة وولى مكانه مسرور البلخى ، غير أن مسرورا ترك الحرب ضد الزنج وعاد لمساندة الموفق فى حربة ضد يعقوب الصفار ، فعاد

---

(٥٢) باذا ورد مدينة قرب واسط على الطريق الى البصرة وقد خُربت ٠ ياقوت معجم ، ج١ ، ٣١٨

(٥٣) نهر يمر بالبصرة بنى عليه ابو الخطيب مرزوق مولى ابو جعفر المنصور قصره ٠ ياقوت ج٥ ، ٣١٥

(٥٤) ابن الاثير : تاريخ ، ج٧ ، ٢٥٦

(٥٥) الطبرى : تاريخه ، ج٩ ، ٥٠٦

الزنج الى عبثهم وسفك الدماء ، وتنقل الثوار بين المدن يدمرون كل شيء فاستلوا على مدن واسط والأهواز جميعها وامتد نفوذهم الى مسافه غير بعيدة عن بغداد ، واضطر كثير من أهالي تلك البلاد الى الهروب أمام زحف الزنج الى بغداد خوفا من بطشهم ، وقد حاول صاحب الزنج تشتيت جهود الموفق فراسل يعقوب الصفار يطلب الاتفاق معه على حرب الموفق ، غير أن يعقوب رفض التعاون معه واتهمه بالاثم والخروج عن الملة الاسلامية (٥٦)

استمرت حركة الزنج في النموبسبب انشغال الموفق عنهم .وقد اكتفى بارسال عدة جيوش لهم غير أنها منيت جميعها بالهزيمة ، ففي سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥ م استطاع الزنج هزيمة احمد بن ليثويه ، وفي سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧ م هزموا محمد المولد عامل الخليفة على مدينه واسط ، وفي سنة ٨٧٩/٢٦٦ دخل الزنج مدينة رامهرمز (٥٧) الامر الذي أثار الموفق لأن تمدد نفوذهم يعني ضياع هيبة الخلافة التي أصبح هو مسؤولا عنها بالدرجة الاولى لذلك تحمل وحده متابعة حربهم صيانةً للخلافة وحمايةً لأعراض ، فما آن وصله خبرهم حتى ندب ابنه العباس (٥٨) ووجهه لحربهم في ناحية واسط ومعه عشرة الآف رجل في ربيع الآخر سنة٢٦٦(٥٩) فنزل دير العاقول - منطقة بين واسط بغداد - وتقدم منها حتى وافى منطقة الصلح جنوب واسط حيث انتشر الزنج واستطاع في أول لقاء أن يهزمهم بعد أن طاردهم واغرق سفنهم ، ثم عاد بعد

(٥٦) ابن الاثير : الكامل ج٧ ، ٢٩٢ (٥٧) الطبري : المصدر السابق،ج٩،٥٥٦

(٥٨) هو ابو العباس احمد بن طلحة اكبر ابناء الموفق ، بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه ولقب بالمعتضد ، تمثل بأبيه في الشجاعة والاقدام واستمر في الخلافة حتى مات سنة ٢٨٩ هـ . ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ، ٨٦ . (٥٩) الطبري: تاريخ،ج٩،٥٥٧

ذلك الى واسط ، ثم رأى التقدم خلفهم الى أن وصل الى مازروان (٦٠) وغنم دوابهم وبعض الشذوات والسميريات (٦١) كما استنقذ كثير من النساء اللواتى كن فى أيدى الزنج وردهن الى أهلهن (٦٢)٠

انتهى الموفق من اقرار الأمور مع يعقوب بن الليث الصفار وأخيه عمرو ، وتفرغ لحرب الزنج فكون جيشا كبيرا وخرج حتى وافى ابنه العباس والتقيا ، وعرف منه أخبار الزنج ، ثم تقدم بقواته حتى نزل شرق الدجلة ، وأطلق ابنه أمامه ومعه بعض القواد وادوات الحرب ، وواقع الزنج فى أكثر من معركة وغنم منها وقتل ، وتقدم للقاء أبيه الموفق الذى توجه نحو مدينة صاحب الزنج وتسمى المنيعة ، واقتحم العباس سور المدينة بمجموعة من رجالة وقتل كثيرا منهم ، وفتح الطريق أمام الموفق لاقتحام المدينة فانسحب الزنج وحقق الموفق اول انتصار عليهم ، واستولى على المدينة واستخلص من فيها من النساء المسلمات ودفعهن الى أهلهن ، كما أسر كثيرا من الزنجيات ، وأمر بهدم سور المدينة واحراق ماحولها من سفن(٦٣)

كانت المنيعة هى أول مدن الزنج سقوطا فى يد الموفق سنة٢٦٧هـ/٨٨٠ م وقد تأثر صاحب الزنج لدرجة أنه أصيب بمرض فى بطنة هذا الى جانب التأثير السيىء لدى أصحابه ، واتخذ سليمان بن جامع ـ أحد قادة الزنج ـ ترتيبات محكمة حول مدينة طهثا ـ ثانى اكبر مدن الزنج ـ مخافة أن تسقط هى الأخرى فى قبضة الموفق الذى مازال يلح فى حربهم ، فى الوقت الذى

---

(٦٠) مازروان : منطقة تقع بين اصبهان وخوزستان ٠ ياقوت : معجم البلدان ج٥ ، ٤٠ ٠

(٦١) هى اسماء تطلق على السفن

(٦٢) الطبرى : المصدر السابق ، ٦٥٤

واصل فيه الموفق تقدمه نحو المدينة ، وآطلق ابنه العباس أمامه لمطاردة سليمان ريثما ينزل هو بجنودة ويعسكر في مركز متقدم ، وفعلا عسكر على بعد ميلين من المنصورة (٦٤) بينما تقدم العباس وأرغم الزنج على دخول المدينة وضم اليه جميع الطرق المؤدية اليها ، عندما أصبح الطريق ممهدا تقدم الموفق وهدم أسوار المدينة والقضاء على الزنج الذين كانوا يحتمون فيها كما طاردهم من الخنادق وشتتهم وأمر بطم هذه الخنادق ، ودانت له السيطرة على المدينة ، واستنقذ نحو عشرين الفا من النساء والاطفال الذين سباهم الزنج من البلاد المجاورة ، وأمر بردهم الى أهلهم.

ارتحل ابو أحمد الموفق بعد معركة المنصورة الناجحة الى الأهواز لضبط سياستها ، واجلاء من بها من الزنج ، كما أهتم بأمر واسط وأرسل لها قوة بقيادة ابنه هارون لحمايتها من أي هجوم مضاد قد يقوم به الزنج وللتأكد من حماية ظهره ، وكان مسير الموفق الى الاهواز في جمادى الآخرة سنة٢٦٧ هـ وكتب الى مسرور البلخي عامله على أقليم السوس (٦٥) بالقدوم عليه لمساعدته في حربه وامداده بالاموال اللازمة لتجهيز الجيش وتعبيد الطرق ، وكان صاحب الزنج قد أمر بهبوذ بن عبد الوهاب أحد قادته على الاهواز بالقدوم عليه فانتهز الموفق هذه الفرصة ، واقتحم معسكراته

---

(٦٤) المنصورة ـ طهثا ـ سميت كذلك بالنسبة الى بانيها منصور بن جمهور في عصر بني أمية ،وهي من مدن السند بين ديبل والملقان. ياقوت : ج٥، ٢٢١ .

(٦٥) السوس : بلدة بخوزستان بين فارس والبصرة وواسط . ياقوت : معجم ج٢ ، ٤٠٥ (٦٦) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ٣٤٨

وحوى جميع ماتركه من الآلات والأسلحة للاستعانه بها كما اطلق الأسرى (٦٦)

وضع الموفق خطة للقضاء على الزنج تعتمد على انزال الضربات المتوالية بهم كي لايترك لهم فرصة الإستقرار . خاصة وهو قد أصبح يعرفهم معرفة طيبة ، كما خبر طريقهم في الحرب حيث لايحسنون حمل السلاح ، وحرص على عدم تمكينهم من الانسياح في الارض للحصول على المسيرة ، كما اهتم بضرورة وصول الامدادات الى رجاله ، فكتب الى عماله في مختلف الأمصار لامداده بالمال ، فبعث له احمد بن طولون والي مصر بالأموال (٦٧) فأمر ببناء الأسطول ويجوب الانهار لتسهيل وصول الامدادات واقامة الحصون نواة لاقامة مدينة الموفقيه (٦٨) جعلها في مواجهة مدينة المختارة عاصمة الزنج اتخذ منها معسكرا لجيشه ومركزا للإنطلاق ، وبلغ الموفق مرحلة طيبة من التخطيط فأمر رجاله بتأمين كل الطرق المؤدية الى مدينة الزنج وأمر رجاله بحسن معاملة الأسرى ، ومنح الأمان لكل من يلجأ اليهم ، كان من نتيجة ذلك أن انحاز اليه أفواج كثيرة من الزنج يطلبون الأمان (٦٩) وكان من ضمن الذين انحازوا الى الموفق جعفر بن ابراهيم المعروف بالسجان.

ظل الموفق محاصرا لمدينة المختارة يضرب أسوارها بمنجنيقاته عراداته فأصابها في الصميم حتى قاربت على الاستسلام فعبر اليها في ربيع الآخرة ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م ، ولم يكن العبور سهلا فقد ووجه بمقاومة

---

(٦٦) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ٣٤٨

(٦٧) احمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ٣٥٤

(٦٨) الموفقية : مدينة قرب واسط منسوبة الى الموفق حفر لها نهر من ناحية سابور ، المعجم ، ج٥ ، ٢٢٥ (٦٩) العش : تاريخ عصر الخلافة، ١٢٨

شديدة من الزنج الامر الذي اضطره الى سحب رجاله وعاد الى مدينة الموفقية (٧٠) ومع ذلك لم تتوقف المعارك بين الطرفين حيث أستآنف الموفق هجومه على مدينة المختارة وابنه العباس يحارب من بين يديه ، واثناء الهجوم رماه غلام رومي من غلمان الزنج بسهم أصابه في صدره فتحامل على نفسه وظل يباشر الحرب وهو يستر ماأصابه حتى لايضعف أمام رجاله ويصيبهم اليأس ، فلماشعر بعجزه عن الحركة انصرف الى الموفقية للعلاج الأمر الذي سبب اضطرابا من جهته (٧١)٠

شهد عام ٢٦٩هـ/٨٨٢م هدوء اضطراري في معسكر الموفق بسبب مرضه الذي ألم به وفي نفس الوقت انشغل باستعادة الخليفة المعتمد الذي تآمر مع احمد بن طولون واليه على مصر ، فقد أعجب الناس بأبي احمد الموفق بسبب نجاحه في ضبط الأمور وانزاله الهزائم المتوالية بالزنج مماأدى الى انحسار خطرهم ، وقد الزمته الحرب معهم لطلب الدعم من عمال الدولة على الأمصار فأصدر لهم الأوامر بذلك دون الرجوع الى الخليفة ، كما امتد نفوذه الى تعيين العمال وعزل من يثبت عجزه دون الرجوع الى الخليفة ، اعتبر البعض ذلك التصرف سلبيا لاختصاصات الخليفة ، كما أن الخليفة رغم سلبيته المعروفة في الميدان السياسي كان يحقد على الموفق منزلته من الناس ، ورأى ابن طولون ان يستغل الفرصة لاحتواء الخليفة لتحقيق هدفين الأول نقل الخلافة الى مصر والثاني ضرب الموفق واضعاف مركزه وتأليب الأتراك عليه وقد كانت بينهما وحشة (٧٢)

(٧٠) الطبري : تاريخ الطبري ، ج٩ ، ٦٠٣ (٧١) المصدر السابق ، ص٦١٩

(٧٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ٣٣٠

ـ فاستغل شكوى الخليفة من أخيه وكاتبه سرا فى ترك دار الخلافة واللجوء الى مصر سنة ٢٦٩ ، غير أن الموفق علم بالخطة فترك موقعه من حرب الزنج لابنه العباس لفترة انصرف لأعمال الحيلة والقبض على الخليفة قبل أن يصل الى مصر وأعاده الى سامراء ٠

وما أن انتهى أبو الموفق طلحة من استعادة الخليفة واقرار الأمور حتى أستأنف حربه من الزنج وقد بدأ من تصرفه هذا وكأنه يمارس الخلافة وكأنها تسعى اليه ، وقد سانده فى حربه فى المرحلة التالية ازدحام معسكره بالرجال ، فقد انضم اليه لؤلؤ غلام احمد بن طولون الذى انشق على سيده وفى يده حمص وقنسرين وحلب وديار مضر ، ونحن نرجح أن الموفق كاتب لؤلؤ فى الانفصال عن احمد بن طولون ومناه بالانضمام اليه ردا على الاساءة التى بدأ بها ابن طولون تجاهه ، وعندما وافى لؤلؤ برجاله الموفق رحب به وأشركه معه فى قتال الزنج (٧٣) وكان صاحب الزنج قد تحصن فى المناطق المطلة على نهر ابى الخصيب ، فقرر ابو احمد أن يخرب منازل الزنج الواقعة على النهر واستولى على السفن التى كانت راسية فيه ، كما هاجم منطقة تمركز الزنج بعد انضمام قوات أبى العباس اليه ، فأزالهم عنها بعد عدة معارك أصيب فيها كثير من رجاله ، فأمر الباقين بالانصراف الى الموفقيه لمعالجة الجرحى (٧٤)٠

---

(٧٣) ابن الاثير : تاريخ ، ج٧ ، ٣٩٣ ، ٤٢٥ وبعد أن أنتهى من حرب الزنج وكّل اليه الموفق بعض الاعمال فكثر ماله وظهرت عليه امارات النعمة فقبض عليه الموفق سنة ٢٧٣ وأخذ ماله وأعادة الى مصر ٠

(٧٤) ـ الطبرى : تاريخ ، ج٩ ، ٦٣٤

بدت عبقرية الموفق فى محاربته للزنج فى أنه تعامل معهم بأسلوب محكم هدف منهم تصفيتهم وتضييق الخناق عليهم ، والوقيعة بينهم وبين قياداتهم فبالرغم من الجرائم العديدة التى ارتكبوها ضد الأهالى فى مناطق سيطرتهم والمناطق التى آغاروا عليها الا أنهم لم يستندوا الى قاعدة شعبيتة ولم يحدث أن تجاوب العامة معهم ، لذلك كان الموفق حريصا على التنوع فى معاملته معهم • وذلك باستعمال الشدة حينما واللين حينا آخر ، وبدا ذلك فى بذل الامان لهم كان من نتيجته ان استأمن سليمان بن موسى الشعرانى أحد قادة الزنج البارزين ، فأمنه الموفق ومن معه من الرجال اغراءً لغيره كما طلب كوبلاى ابن صاحب الزنج الأمان من الموفق فأجابه الى طلبه لولا أن أباه ثنّاه عن رأيه (٧٥) وكان الشعرانى هذا على مؤخرة جيش الزنج فأدى انحيازه الى الموفق الى ضعف مقاومتها ، فولى صاحب الزنج عليها شبل بن سالم غير أنه لم يلبث هو الآخر أن طلب الأمان من الموفق ، فعظم ذلك على صاحب الزنج ، وبدأت الأمور فى التدهور ، فقد تمكن الموفق بعد أن عرف أخبار الزنج وطريقهم فى الحرب وذلك عن طريق الذين أستأمنوا له ، فأمر رجاله بالتقدم الى معسكر الزنج وأسر نساء صاحبهم واولاده وحملهم الى مدينته الموفقيه ، واحسن معاملتهم بالاضافة الى أولاد قادته مثل على بن أبان المهلبى وأخويه ، وسليمان بن جامع (٧٦)•

تابع الموفق بث السرايا ليلا ونهارا الى مدينة المنيعة ، وذلك عن طريق نهر أبى الخصيب ، وأصبح الطريق مفتوحا الى عاصمة الزنج ، فأغتنم

---

(٧٥) المصدر السابق ، ٦٤٤

(٧٦) الطبرى : تاريخ ، ج٩ ، ٦٥٦

الفرصة ، ولم يزل ملحا على الحرب لتصفية بقايا الزنج فأعلن التعبئة العامة في الامصار فلبى الناس النداء ووافته الوفود من كل البلدان كما حُملت اليه الأموال ، وانضم اليه أحمد بن دينار عامل ايذج (٧٧) ومنطقة الأهواز في جمع كبير من الناس ، ثم قدم بعدة قوم منه أهل البحرين ، ثم وفد من أهل فارس (٧٨)٠

تحرك الموفق نحو مدينة المختارة ، وقد تهيأ الزنج للقتال فلقيهم جيش الخلافة وقد تهيأ للقتال واستمر في تقدمه رغم المقاومة الشرسة التي ابداها الزنج مما أدى الى مقتل عدد كبير من الطرفين وغرق من حاول الفرار في النهر ، وانتهت المعارك باحتواء أصحاب الموفق مدينة الزنج بأسرها واستنقذوا من كان فيها من الأسرى ، وانتهى الموفق ومن معه الى معسكر الزنج وقد هرب أكثرهم وتبعهم لؤلؤ واصحابه واستمر في مطاردة الزنج (٧٩) وعبر نهر السفياني وكان صاحب الزنج قد اعتصم بجبل خلف النهر واستمر في حربهم ثلاثة أيام نجح في فصل قواتهم كي ينفرد بكل قسم على حدة ، فانفصل سليمان بن جامع وأنكلاى بقواتهما عن صاحب الزنج ، ثم انتهى الأمر بوقوع سليمان في أسر الموفق ، ورغم الضعف والوهن الذى أصاب قوات الزنج الا ان صاحبهم مازال على اصراره في صد الهجوم العباسي رغم جدية الموفق في طلبهم ، والتحم الطرفان في قتال مباشر استمر عدة أيام سيطر فيه رجال الموفق على ساحة القتال ، ولما وصل هو الى منطقة نهر أبي الخصيب وافاه الخبر بمقتل صاحب الزنج ، ولم يلبث أن أتاه

---

(٧٧) ايزج بندة من كور الاهواز وبلاد الخور ٠ ياقوت : ط ١ ، ٢٨٩

(٧٨) الطبري : المصدر السابق ج٩ ، ٦٥٤ (٧٩) ابن الاثير : الكامل ،ج٧، ٤٠٢

غلام من أصحاب لؤلؤ يحمل رأسه ، وتسلمه الموفق وعرضه على جماعة من قواده فتعرفوا عليه فخر الله ساجدا على نعمة النصر ، وسجد جميع من معه شكرا لله ، ثم أمر الموفق بنصب رأسه على قناة ليعرفه الناس ، وحمله بعد ذلك الى بغداد ، ولاشك ان مقتل صاحب الزنج سوف يؤثر فيمن بقى من رجاله ، وماهى الا أيام حتى وقع على بن آبان المهلبى ـ الرجل الثانى بعد صاحب الزنج ـ وتبعه انكلاى فى حين استأمن درمويه الزنجى أحد ابطالهم، وأمر أبو أحمد الموفق أن يكتب الى مختلف الامصار بالبشرى ، وعندما انتهت الحرب كتب الموفق الى أهل البصرة والآبلة وكور دجلة وأهل الأهواز وكورها وأهل واسط الذين تشردوا بسبب الحروب وترحو عن بلادهم بالعودة اليها (٨٠) واقام الموفق بالموفقيه لترتيب الأمور فى الأمصار ومباشرة سياسة الدولة بعد الفتح ، .

ولاشك أن انتصار الموفق على الزنج قد افتدى الدولة والاسلام من شر محقق كان على وشك ان يصيب المسلمين فى الصميم ، وقد شعر الناس بسعادة كبيرة عبر عنها بعض الشعراء ، فيقول أحدهم.

أقول وقد جاء البشير بوقعةٍ ** أعزت من الاسلام ماكان واهيا
جزى الله خير الناس للناس بعدما ** أُبيح حماهم خير ماكان جازيا
تفرد اذا لم ينصر الله ناصر ** بتجديد دين كان أصبح باليا
وتشديد ملك قد وهى بعد عزة ** وادراك ثارات تبير الأعاديا
ورد عمارات أزيلت وأُخربت ** يرجع فىء قد تحرم وافيا

---

(٨٠) الطبرى : تاريخ ، ج٩ ، ٦٣ .

ويرجع أمصارا أُبيحت وأُحرقت ** مرارا فقد أمست قواء عوافيا

ويشفى صدور المؤمنين بوقعة ** يقر بها منا العيون البواكيا

ويتلى كتاب الله فى كل مسجد ** ويلقى دعاء الطالبيين خاسيا (٨١)

تقيم جهود الموفق فى القضاء على ثورة الزنج :

بذل الموفق جهدا ملحوظا

فى القضاء على تلك الفتنة التى أستمرت أربعة عشر عاما لو تركت لكانت سبب فى القضاء على الخلافة العباسية ولشجعت الطامعين فى الدولة على تفتيتها ، فلولا جهود الموفق فى هذا المجال لتمكنت ثورة الزنج من فرض السيطرة على اقتصاد الدولة ولغيرت من تركيبه السكان.

لم يتأثر عزم الموفق ولم تهن قوته لكثرة ظهور الثوار والطامعين فى الدولة ، والذين استغلوا فرصة انشغالة بحرب الزنج مثل يعقوب بن الليث الصفار ، واحمد بن طولون الذى سعى الى السيطرة على الخلافة ، فتمكن من القضاء على ثورة الزنج ولم يهمل شأن الثوار ، كما أن ثورة الزنج كانت سببا فى ظهور كثير من القادة على رأسهم العباس بن الموفق الذى أبلى بلاء مشهورا فى حربهم ، واكتسب خبرة مكنت له بعد ذلك أن يكون وليا للعهد وأن يتولى الخلافة بعد وفاة أبيه لمدة عشر سنوات أعاد فيها الدولة الى سابق عهدها فى عهد اجداده .

ولقد شعر الناس بقوة شخصية الموفق وشهدوا له ، وتحول ولاؤهم عن الخليفة واصبح أبو أحمد الموفق هو أملهم فى تحقيق الأمان ، وبدا وكأنه

---

(٨١) قائل هذه الأبيات يحيى بن محمد الأسلمى : الطبرى : تاريخ الطبرى تاريخ ، ج٩ ، ٢٧٠ .

الموفق وضبط أمور الدوله :-

القضاء على ثورة الصفاريين :

قصد يعقوب بن الليث الصفار بثورته اعادة نفوذ الفرس الذى تقهقر أمام امتداد النفوذ التركى ، كما كان يطمع فى الاستقلال هو الآخر عن الخلافة مستغلا أمرين ، الأول ضعف الخلافة والثانى انشغال أبى احمد الموفق بحرب الزنج ، وكان يعقوب رجلا طموحا (٨٥) وبدأ يظهر على سطح الاحداث حينما وكل اليه الخليفة قيادة المتطوعة المكلفين بحرب الشراة فى منطقة سجستان ، وتمكن من القضاء عليهم ودانت له السيطرة على الاقليم ، وبدأ يحتك بالدولة الطاهرية (٨٦) يستولى على أجزاء منها فى عهد الخليفة المعتز وهو يظهر أنه يعمل تحت إمرة الخلافة رافعا رايتها ، فتقدم واحتل كرمان سنة ٢٥٥ هـ /٨٦٩ م ، ثم

(٨٥) كان يعقوب بن الليث الصفار من أسرة فارسية تنحدر من أصل ايرانى ولد فى قرية قرنين على مسافة قريبة من عاصمة سجستان عاصمة زاول بعض الاعمال البسيطة ، ثم التحق بفرق المتطوعة بقتال الخوارج تحت قيادة صالح بن النضر الكنانى فقتل ثم تولى بعده درهم به الحسين الا أنه لم يكن يحسن القيادة فعزل وتولى يعقوب ، وظفر بالخوارج فكافأه الخليفة ، ابن خلكان وفيات الأعيان ج٦ ، ٤٠٢ ٠

(٨٦) أسسها طاهر بن الحسين احد قادة الخليفة العباسى المأمون فى خراسان (٢٠٥ -٢٠٧هـ) ومن بعده ابنه عبد الله بن طاهر وشملت دولتهم معظم المشرق ووطدوا سلطان الاسلام ضد الترك والعلويين واستمرت الدولة الطاهرية حتى عجزت عن القيام بدورها أمام ثورات العلويين وسقطت على يد الصفاريين سنة ٢٥٩ هـ ٠ احمد ابراهيم الشريف - العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ٤٥٦ ، ٤٥٧

استولى على بلخ (٨٧) وطخارستان (٨٨) والسند ، ثم حارب محمد بن طاهر واقتطع منه اقليم هراة وبوشنج (٨٩) وأرسل هدايا الى الخليفة اثباتا لحسن النوايا والطاعة (٩٠) فأنخدع الخليفة فيما زعم يعقوب ومنحه تقليدا على البلاد التى فتحها (٩١).

انتهز يعقوب فرصة ضعف الخلافة وسعى الى ضم بقية مشرق الدولة العباسية فقبض على ابن طاهر ودخل خراسان ، وأدركت الخلافة سوء نية يعقوب فأرسل اليه آبو أحمد الموفق كتابا يأمره بالانصراف الى العمل الذى ولاة الخليفة ايّاه والا عُد من المخالفين ووجب عزله غير ان يعقوب لم يعبأ بكتاب الموفق ، ومضى فى عنادة فأعلن الخليفة عزلة عن ولاية خراسان بناء على طلب ابى احمد (٩٢)

أغتر يعقوب بقوته وولاء جنده فسار الى الآهواز احدى كور خوزستان سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥ فى محاولة للاستيلاء عليها ، ومن ثم يتجه غربا لدخول بغداد وكان الموفق يحارب الزنج فى منطقة البصرة، فانتقل الخليفة المعتمد بجيش

(٨٧) بلخ مدينة مشهورة منـ اقليم خراسان، افتتحها الأحنف بن قيس أيام عثمان بن عفان . ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ٤٧٩ .

(٨٨) طخارستان : ولاية واسعة تشمل عدة بلاد من نواحى خرسان يحدها شرقا بلخ وغربا نهر جيحون . ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ٢٣

(٨٩) هراة من أعمال خراسان كان فتحها فى أيام الخليفة عثمان بن عفان القلقشندى : صبح الأعش ، ج٤ ، ٣٩٣ .

بوشنج مدينه مجاورة لهراة يربط بينهما نهر ويمتد الى سرخس القلقشندى : المصدر السابق ، ج٤ ، ٣٩٢ ، أنظر ابن الاثير : تايخ ابن الاثير ، ج٧ ، ١٨٥ .

(٩٠) الطبرى: تاريخ الطبرى ،ج٩، ٣٨٦

(٩١) المسعودى : مروج الذهب ، ج٤ ، ١٧٨

(٩٢) الطبرى : تاريخ الطبرى ، ج٩ ، ٥١٩ .

من سامراء فى جمادى الآخره من نفس السنة الى بغداد حتى وافاة أبو احمد الموفق بجيش على ميمنة موسى بن بغا وعلى ميسرته مسرور البلخى والتقى بقوات يعقوب وحمل عليه حملة كثيفة ثبت لها يعقوب رغم كثرة ماقتل من جنوده وأصيب يعقوب بثلاثة أسهم ، ولم يلبث ان هزم ، واحتوى أبو أحمد عسكره و وخلص محمد بن عبد الله طاهر من أسره (٩٣) .

ولعل من أهم أسباب هزيمة يعقوب بن الليث الصفار مباشرة الخليفة الحرب بنفسه مما يؤكد أن الصراع لم يكن بين قائد وخليفة ولكن كان بين العرب والفرس ، وما يشير الى ذلك أن العرب فى معسكر يعقوب كانوا يحاربون تحت إمرته باسم الخلافة ، ولما أدركوا أنه يحارب الخلافة تخلوا عنه وانحازوا للخليفة ، كما أخرج لهم الخليفة قائدا من الترك يحرضهم على اعلان العصيان فقال ياأهل خراسان وسجستان ما عرفناكم الا بطاعة السلطان وتلاوة القرآن ، وحج البيت وطلب الأذكار ، وان دينكم لايتم الا باتباع الامام وما نشك أن هذا الملعون قد كذب عليكم وقال لكم ان السلطان قد كتب اليه بالحضور ، وهذا السلطان قد خرج لمحاربته فمن آثر منكم الحق وتمسك بدينه وشرائع الاسلام فلينفرد عنه اذا كان شاقا للعصا محاربا للسلطان (٩٤) هذا الى جانب كراهية كثير من رجال يعقوب منابذة الخليفة وقد حضر لمباشرة القتال بنفسه ، كما أن الموفق ولى عهد المسلمين الذى قاد جيش الخليفة كان محط إعجاب الناس فآثروا الانضمام اليه وحاربوا معه ضد يعقوب .

ولم تنته الخلافات بين الصفاريين والموفق فبعد أن مات يعقوب فى شوال من سنة ٢٦٥/٨٧٨م (٩٥) بجند يسابور بمنطقة الأهواز قام أخوه عمرو بالأمر من

٩٣- المصدر السابق ٨١٥ .

٩٤- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤١٤ .

٩٥- ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج٧ ، ٣٢٦ .

بعده واتبع سياسته فأعلن امتثاله لطاعة الموفق صاحب السيطرة على أقاليم الدولة الشرقية ، وكان الموفق يريد تركيز جهوده لمحاربة الزنج لذلك كتب لعمروا بن الليث عهدا على خراسان وفارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان وشرطة بغداد وتطلع الموفق الى الى أن يؤدى الى ذلك الى إقرار الهدوء في المنطقة الشرقية .

ويبدوا أن عمرا كان مثل أخيه يميل الى التوسع مستغلا ظروف الدولة ، لذلك طبع عملة فى البلاد التى يتولاها وتجرأ على كتابة اسمه عليها الى جوار اسم الخليفة وأبى أحمد الموفق ، وأنتظر الموفق حتى ينتهى من حربه مع الزنج حتى لاينشغل فى جهتين ، وما أن أنتهى من حربهم حتى وجه جهوده لحرب الصفار حتى أضعف من قوته وأصدر أمرا بعزلة عن خراسان سنة ٢٧١ هـ ٨٨٤ (٩٦) وتولى ابنه المعتضد القضاء عليه ،

الحد من أطماع أحمد بن طولون : أنشلغت الخلافة العباسية منذ بداية العصر الثانى بمشاكلها الداخلية لدرجة أنها عجزت عن اتخاذ مواقف حاسمة ازاء الحركات الاستقلالية التى أسفرت عن ظهور إمارات مستقلة فى كثير من أقاليم الدولة ، فقد ظهرت فى مصر إمارة مستقلة على يد أحمد بن طولون ، وفى سجستان ظهرت الدولة الصفارية ٢٠٥ - ٢٩٥ هـ ، وفى خراسان ظهرت الدولة الظاهرية ٢٠٥ - ٢٥٩ هـ ، وفى الهند الدولة الساماتية ٢٦١ - ٣٨٩ هـ ، والواقع أن أحمد بن طولون سعى الى ارضاء الخلافة بكل الوسائل على الرغم من أنه كان يميل الى التشبع على عكس مذهب الدولة السنى كما أستطاع استمالة القادة الأتراك (٩٧) مما أدى الى تهيئة الجو له للاستقلال

٩٦- الطبرى : تاريخ ج١٠ ، ٧

٩٧- حسن محمود : الدولة الطولونية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص٤٦ .

بمصر ، وضم الشام اليها بعد وفاة أماجور[٩٨] حدث ذلك فى وقت كانت الدولة لانستطيع السيطرة على أطرافها أو كبح جماح أمرائها ، غير أن الأمور تغيرت بظهور أبو أحمد الموافق واضطلاعه بأمور الدولة ، فبدأ فى تغيير الخريطة السياسية لها واعادة ترتيب العلاقة بين الخلافة واقاليمها، واستطاع الموفق بمجهود فردى القضاء على الصفاريين والحيلولة دون سقوط الدولة فى أيديهم ،

وبدأت العلاقة بين الموفق واحمد بن طولون عدائية وذلك لتداخل طموحات كل منهما، فالموفق يريد فرض سيطرته على مصر باعتبارها احدى ولايات الدولة ، وابن طولون لايرى للموفق حق فى فرض تلك السيطرة بحجة ان مصر كانت تابعة اداريا للأمير جعفر - المفوض - ابن المعتمد ، ضمن الجناح الغربى الذى عهد اليه به ، فى حين كان الموفق مسؤولا عن الجناح الشرقى[٩٩] وقد رفض الموفق أن يكون ولاء ابن طولون للاتراك ، وحدث بينهما نفور أدى الى تهديد الموفق له بالعزل ، فرد ابن طولون بان أرسل كتابا للخليفة أغلظ فيه للموفق[١٠٠] فأرسل الموفق جيشا بقيادة موسى بن بغا لاخراج ابن طولون من مصر ولكنه فشل[١٠١]

٩٨- الكندى : الولاه وكتاب القضاه مؤسسة قرطبة بمصر ، ٢١٩ .

٩٩- الطبرى تاريخ ج٩ ، ٥١٤ .

١٠٠- قال ابن طولون فى كتابه للخليفة " ان تقليدى ليس من قبله ولاولايته فانه والأمير جعفر المفوض قد أقتسما الأعمال وصار لكل منهما قسم انفرد به صاحبه ، وأخذت عليه البيعة فيه ، فان من نقض عهده ، أو خفر ذمته ، ولم يف لصاحبه بما أكد على نفسه فالامة بريئة من بيعته ، والذى عاملنى به الأمير من محاولة صرفى مرة واسقاط رسمى اخرى هو ناقض لشرطة مفسد العهده " البلوى ، سيره ابن طولون ، ٨٣ .

١٠١- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٧ ٣٠٥ .

منذ تولى الموفق الحرب ضد الزنج كتب الى عماله فى الأمصار ليوافوه بأموال ليستعين بها فى ترتيب الجيوش ، وبناء على ذلك أرسل لأحمد بن طولون مع نحرير الخادم ليتسلم منه الخراج فى الوقت الذى أرسل الخليفة لابن طولون يطالبه بالخراج ويحذره من غدر الموفق ويخبره بأنه نحريرا وفد عليه بالتجسس لصالح الموفق ، ولاشك أن الخليفة كان يقصد من رسالة إثبات حقه كخليفة فى طلب الخراج وذلك حينما شعر بضآلته وانفراد الموفق بمحاسبة العمال ، وكان على ابن طولون أن يلبى طلب الخليفة فأرسل له جزءاً من المال وأرسل الباقى لأبى احمد الموفق ، واستصغر الموفق المال وأراد محاسبة ابن طولون فثار الأخير على ذلك وأرسل رسالته (١٠٢)

زادت العلاقات سوءاً بين الرجلين حينما هرب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون بما فى يده من بلاد الشام الى الموفق ، وربما اعتقد بن طولون أن الموفق وراء هروب لؤلؤ فتحرش به ابن طولون وأرسل جيشا الى مكة معه قائدين ، وجمعوا العامة وفرقوا فيهم أموالا حتى يستعينوا بهم على حرب هارون بن محمد عامل الموفق على مكة بغية الاستيلا عليها ، ووصلت الأخبار لأبى أحمد الموفق فى ذى الحجة سنة ٢٦٩ فاسرع بارسال مدداً لعامله مكنه من هزيمة جيش ابن طولون وبدأت حرب الكلام حيث قُرىء كتاب فى المسجد الجامع بمكة يلعن أحمد بن طولون (١٠٣)

شعر الخليفة المعتمد بأنه أصبح الرجل الثانى بعد الموفق الذى أصبح مسيطراً على زمام الأمور ، ووجد الفرصة سانحةً فى طلب المساعدة من أحمد بن طولون بصفته أقوى أمراء الدولة ، للهرب من قبضة الموفق ، فكاتب ابن طولون

---

١٠٢ ـ البلوى : سيرة ابن طولون ، ٨٣ .

١٠٣ ـ ابن الأثير : تاريخ ، ج٧ ، ٣٩٥ .

يطلب اليه مساعدته فى الهروب ، فأجابه ابن طولون وعرض عليه القدوم الى مصر ، وفعلا خرج الخليفة من دار الخلافة فى منتصف سنة ٢٦٩هـ (١٠٤) مستغلا انشغال الموفق بحصار صاحب الزنج ، وتظاهر لرجال القصر بأنه سوف يخرج فى رحلة للصيد ، وعلم الموفق بخروج الخليفة واجتيازه الموصل فى طريقة الى مصر ، فكتب الى عاملة اسحق بن كنداج ، ليحول دون خروج الخليفة ، وفعلا خرج ابن كنداج بقوة لاعتراض الخليفة ، فما أن وصل ركب الخليفة الى منطقة الحديثة (١٠٥) تلقاه ابن كنداج وأحسن اليه وتظاهر بماولاته ، حتى لايشعر الخليفة بشيء وانحدر به عائدا الى سامراء ومنعه من دخول دار الخلافة وسلمه الى أبى العباس بن الموفق فأنزله العباس فى دار أحمد بن الخصيب دون أن يعلم أحد بمكانه ، وجعله فى حراسة قوة من رجاله تتكون من خمسمائة رجل عليهم قائد لمنعه من الأتصال بأحد (١٠٦)

قصد ابن طولون بمساعدة الخليفة إضعاف شأن أبى أحمد الموفق وتكوين جبهة قوية ضده فى مصر بعد أن سيطر على الخلافة ، ومن ناحية أخرى قصد الأنتقام منه لمساندته لؤلؤ حينما هرب من ابن طولون ، وربما كان يريد أن يثبت أنه رجل الخليفة غير أن ذلك لم يتحقق له لضعف الخليفة والذى أرغم على اصدار مرسوم بلعن ابن طولون على المنابر واعلان عزله عن مصر وتوليته اسحق بن كنداجيق - رجل الموفق - على أعماله .

أصدر الموافق على لسان الخليفة أمر بلعن ابن طولون فرد ابن طولون على

---

١٠٤ - ابن خلدون - تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ٣٣٠ .

١٠٥ - الحديثة ، بليدة على دجلة بالجانب الشرقى قرب الزاب ، ياقوت معجم البلدان ج٢ ، ٢٠٣ .

١٠٦ - البلوى ، سيرة ابن طولون ، ٢٠٩ - ٢٩٣ .

ذلك بقطع الخطبة فى مصر للموفق ، واسقاط اسمه من الطراز (١٠٧) وجمع الفقهاء والقضاه والأعيان وقال لهم : قد نكث الموفق بأمير المؤمنين فاخلعوه من العهد ، فوافقوا جميعا على خلعه ـ خوفا من ابن طولون ـ الا القاضى بكار بن قتيبه رفض خلعه الا اذا ورد كتاب من الخليفة بذلك ، فحبسه ابن طولون ومنع خراجه (١٠٨)

لم يتعد الخلاف بين الموفق وابن طولون ما ذكرنا ، ولم تنشأ بينهما حروب ، لأن الموفق فى حقيقة الأمر يرى استمالة ابن طولون اليه بأى وسيلة وعندما فشل فى القضاء عليه سعى الى التقرب اليه وكتب اليه كتابا يعاتبه فيه على مبادرته بخلعه واسقاط اسمه ، ويعترف بانه نادم على اصدار الأمر بلعنه ، وسعيد ابن طولون بورود كتاب الموفق اليه وأعتبره مبادرة لتحسين العلاقات فارسل اليه هو الآخر معتذرا انى لم انحرف عنك وأخلعك وأخالف عليك كرها لك ، ولاكان ذلك منى الا طاعة للسلطان (١٠٩) ووالواقع انه لو طال العمر بابن طولون لكان له مع الموفق شأن آخر ، فلما مات ابن طولون سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ ترحم عليه الموفق وعرف قدره ٠

الموفق وضبط أمور الدولة :

مباشرة الخلافة : ظلت الخلافة فى العامين الأوليين من عهد المعتمد فى خمول خمول ثم بدأت تسترد هيبتها وفاعليتها منذ أن تولى الموفق المسؤولية كولى عهد ثان بعد جعفر ابن الخليفة فى ربيع الأول سنة ٢٥٨هـ (١١٠) وذلك لأنه

---

١٠٧ ـ الكندى ، الولاة والقضاه ، ٢٢٧ ٠

١٠٨ ـ وظل بكار بن قتيبه فى السجن حتى أخرجه سنة ٢٧٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ٤١٥ ٠

١٠٩ ـ البلوى : سيرة ابن طولون ، ٣٣٣ ٠

١١٠ ـ المسعودى : مروج الذهب ، ج٤ ، ٢١١ ٠

أصبح صاحب الشأن في كل الأمور فالخليفة غارق في لهوة وابنه منزوا لم نلحظ له أي دور على المستوى السياسي ، وليس هذا معناه أن الموفق حجب الخليفة أو ابنه جعفر وحجر عليهما كما رغم بعض المؤرخين ، ولكن هذا يرجع الى أن الموفق كان يمثل آمال الناس في تحقيق آمالهم ، فالتفوا حوله مؤيدين ومحاربين وتركوا الخليفة وانشغلوا عنه لأنه انشغل عنهم ٠

ومن الجور أن نقول أن أبي أحمد الموفق قهر الخليفة وحجر عليه لأسباب منها أن الموفق كان يحقد على المعتمد لعدم أهليته للخلافة أو لتقديم ابنه عليه في ولاية العهد (١١١) ولكن ما حدث كان من افراز الظروف السياسية ، فقد كانت فترة حكم المعتمد تتطلب رجلا قويا تتكئ عليه الخلافة ، وقد سبق أن ظهر رجال اقوياء سيطروا على الخلافة ولم يتركوا للخليفة غير الاسم ، فضلا عن أنهم لم تكونوا عرب مما أدى الى سيطرة اجناس مختلفه على الحكم ، في حين نهض ابو احمد الموفق العربي الهاشمي بالأمر لخدمة الدولة دون أن يسعى الى الخلافة واجتهد في درء الاخطار المحيطة بالدولة٠

أصبح أبو أحمد بحكم منصبه الوزير الأول على علم بأحوال الأمصار فقد حرص على أن يرتب فيها عمالا متفاهمين معه لخدمة أهداف الخلافة ، لذلك قرر الخليفة المعتمد اطلاق يده في التعامل مع ولاة الامصار ، وهو قرار لاشك كان في صالح الدولة ، ولولاوجود الموفق في موقعه ما صمدت الخلافة ، ولما بقي المعتمد على كرسي الخلافة حوالي ثلاث وعشرين سنة ولكان مصيره مثل مصير من سبقه من الخلفاء ٠

والفرق واضح بين من تولى الخلافة ومن مارسها فعلا ، فلو كان المعتمد قويا لسيطر على أمور دولته ، ولما لمع نجم أبي أحمد الموفق ولظلّ وليا

---

١١١ ـ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج٣ ، ٤٦ ٠

للعهد بغير دور كما كان المعتمد قد سبقه من آل البيت في ظل الخلفاء والواقع أن انشغال الخليفة بأمور نفسه عن رعيته (١١٢) واستغراقه فيه ـ اعتماداً على وجود الموفق ـ قد جعل الناس يكرهونه ولايقيمون له وزنا ، وأحبوا أبا أحمد الموفق والتفوا حوله (١١٣)

جمع الموفق شمائل احتل بها منزلة كبيرة من الناس ، فقد كان عادلا حسن السيرة يجلس للمظالم ومعه صفوة العلماء ورجال القضاء ، ينتصف الناس بعضهم من بعض ، كما كان عالما بالأدب والفقه بارعا في سياسة الملك بالقدر الذي برع فيه في فنون الحرب ، وبلغ حبه للناس شأنا عظيما يظهر في اقتدائه بجده عبد الله بن العباس (١١٤) ، وكان يُخطب له على المنابر فيقال " اللهم أصلح الأمير الناصر لدين الله أبا أحمد الموفق ولي عهد المسلمين أخاه أمير المؤمنين " (١١٥) .

وقد برع الموفق على مختلف الأصعدة ، فعلى الصعيد السياسي داخليا نراه يعين العمال ويتابع سير كل منهم بكل دقة دون أن يترك الفرصة لأحدهم للانفراد بالحكم في مصره ، وكثيرا ما حوسب العمال وتعرضوا للحبس ، ففي سنة ٢٦٥هـ قبض على سليمان بن وهب وابنه عبيد الله عندما ظهرت عليه علامات الثراء وأخذ أمواله بعد أن ترك له ما يكفيه (١١٦) ولنفس السبب قبض على عليّ الذي كان واليا على الكوفة وطريق خراسان وسامراء وذلك في سنة ٢٧٤ هـ (١١٧)

---

١١٢ ـ المسعودي : مروج الذهب ج٤ ١٣١ ـ ١٣٣ .

١١٣ـ السيوطي : تاريخ الخلفاا ، ٤١٣ .

١١٤ـ ابن الاثير : تاريخ الكامل ، ج٧ ، ٤٤٣ .

١١٥ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ، ٦٣ .

١١٦ـ ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ٤٥ .

١١٧ـ ابن الأثير : تاريخ الكامل ، ج٧ ، ٤٣٢ .

كانت علاقة الموفق بالعمال يمثل الموفق فيها دور الخليفة فكان يأمرهم بامداده بالأموال المقررة عليهم للخلافة وذلك للاستعانة بها في الحروب ، ويبدو أن ماكان يرسل اليه غير كاف لذلك قرر زيادة الضرائب على التجار ، وعندما عارضة عبد الله بن يحيى بن خاقان ، اعتبر الموفق ذلك عصيان منه وقبض عليه وصادر أمواله وأموال أسرته وقد بلغت أكثر من مليون درهم (١١٨) وقد حال بذلك دون استبداد الوزراء بالسلطة ، هذا وقد استعان بولديه أبي العباس وهارون في ادارة شئون الدولة ، فتولى ابنه العباس مقدمة جيشه في حربه مع الزنج كما ولاة العهد بدلا منه ، بينما تولى هارون تامين المناطق المستولى عليها وأعطاه الحق في السيطرة على شرق الدولة وتعين العمال فيه (١١٩) ٠

وقد عامل ابنه العباس على قدم المساواة مع العمال ، فقد طمع العباس في أن يوليه بلاد الشام غير أن الموفق أراد أن يوجهه لبعض الوجوه الأخرى فأبى العباس الا المسير الى بلاد الشام فقبض عليه وأودعه السجن(١٢٠)٠ وظل حبيسا حتى الأيام الأخيرة من عمره فلما شعر بدنو أجله أخرجه من السجن وجمع القواد لمبايعته وسماه المعتضد ٠

اهتمام الموفق بالجيش :

حوصرت الدولة العباسية في عهد الخليفة المعتمد بالطامعين الأمر الذى أوجب على القائم على أمورها أن يتخذ كل

(١١٨) توفيق سلطان التركي : الوزارة ونشأتها وتطورها في العصر العباسي المكتبة الوطنية ، بغداد سنة١٩٧٥ ص ، ١٣٩

(١١٩) الطبري :تاريخ،ج٩،٦٢١ (١٢٠)ابن خلدون : تاريخ ، ج٣ ، ٣٣٥

التدابير للدفاع عنها ضد هؤلاء الطامعين بتجهيز جيش قوى يكون على أهبة الاستعداد ، لذلك حرص أبو احمد الموفق على اتخاذ المعسكرات فى مناطق الاضطرابات كما فعل فى منطقة الفرك وباذاورد (١٢١) وامدادهما بالجنود المنتخبين حسب قدراتهم وينقسم المعسكر الى فرسان ورجاله ، وفى حالة الحرب كان الموفق يُعبىء رجاله ويجعلهم كتائب يحرس بعضها بعضا كما كان يأمرهم بالتحارس فى الليل بالتناوب على أن تكونوا متأهبين للحرب (١٢٢) وكان يداوم على توجيه الطلائع ويبث جواسيسه لمعرفة أخبار الثائرين وتقدير القوة المناسبة لحربهم ، وفى نفس الوقت كان حريصا على تأمين المناطق الخلفيه حتى لايهاجمه أعداؤه من الخلف (١٢٣) مثلما حدث عندما استخلص من الزنج واسط من الزنج ترك فيها ابنه هارون على رأس حامية حتى لايعود اليها صاحب الزنج (١٢٤)

أما عن الأسحلة فقد أمر الموفق بتجديدها وتنويعها فقد استعمل السهام والحجارة والمجانيبق والمقاليع ، كما وفر للجيش وسائل الانتقال برا وبحرا فجهز الخيول والشذا والسميريات - وهى أنواع سفن - كما جهز المعابر لرجاله (١٢٥) واستفاد من الآسلحة التى استولى عليها من

(١٢١) باذاورد : مدينة قرب واسط على الطريق الى البصرة وقد خُربت ياقوت . معجم . البلدان ، ج ١ ، ٣١٨

(١٢٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج٧ ، ٣٤٦

(١٢٣) المصدر السابق والجزء ، ص ، ٣٤٣

(١٢٤) الطبرى : تاريخه ، ج٩ ، ٥٧٥

(١٢٥) المصدر السابق ، ٥٥٧

معسكرات الزنج واستخدامها فى حربه معهم ، كما استخدم المعاول لهدم سور مدينة الزنج ووفر السلاليم التى يقف عليها النقابون ، وحفر الخنادق وجعل حماية الناس على عاتق القادة ·

سعى الموفق الى توفير التموين للجيش معتمدا فى ذلك على عمال الأمصار سواء ، تمويل مالى أو غذائى للجنود أو أعلاف للدواب كما كان يسعى الى الحصول على الطعام من معسكر الزنج لاطعام رجاله ، أيضا أوجد الموفق نظام الحوافز بين رجاله فكان يكافىء جنوده اذا أحسنوا ويخلع عليهم(١٢٦) وقد حرص الموفق على التفرقة فى المعاملة بين الأسرى وبين أهالى المناطق التى يحارب فيها ، فكان يأمر بضرب اعناق الأسرى فى المعارك ، فى حين يؤمن الناس الذين يطلبون اللجوء اليه ·

الموفق والعمران المدنى :

اهتم الموفق بالناحية العمرانية فاعاد تعمير المناطق التى خربتها الحروب مع الزنج مثل مدينه واسط ، وانشأ مدينة تحمل اسمه سماها الموفقية (١٢٧) اتخذ منها معسكرا لجنودة ومركزا لقيادته فى مواجهة الزنج ، وانتهى من بنائها فى فترة قصيرة ، وأمر بحمل الميره اليها من البر والبحر ، ووفر لها كل الامكانات التى تتوفر لأى مدينة أخرى ، واهتم بالناحية الدينيه فبنى فيها مسجدا جامعا ، وأمر الناس بالصلاة فيه ، وانتقل اليه بعض العلماء للفتيا كما كان يجلس

---

(١٢٦) الطبرى ، تاريخ · ج٩ ، ٥٦٧

(١٢٧) تنسب الى الموفق تقع بالقرب من واسط حفر لها نهرا من ناحية سابور ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ٢٢٥

فيه القضاء المظالم بين الناس ، واتخذها الموفق عاصمة له حجبت الأضواء عن سامراء ، فجعل فيها بيتا للمال لحفظ الأموال التى ترد من عمال الأمصار (١٢٨) وعمل على انعاش الناحية الاقتصادية بالمدينة فجعل منها مركزا تجاريا يأتى اليها التجار بصنوف التجارات من كل بلد ، كما زودها بالمرافئ لرسو السفن التى كانت ترد اليها من كل بلد ، واتخذ بها الأسواق ، واستكملت الموفقية مرافقها كعاصمة وذلك عندما اتخذ فيها الموفق دور الضرب فضرب فيها الدنانير والدراهم ، وسيق الى المدينة كل صنوف المنافع حتى كان ساكنوها لايفقدون بها شيئا ممايوجد فى المدن العظيمة ، وحملت اليها الاموال ، وأدر الموفق للناس العطاء فى اوقاته فاتسعت المدينة وتحسنت أحوال الناس ورغب الخلق جميعا فى المصير اليها والمقام فيها (١٢٩).

ولم يقتصر اهتمام الموفق على بناء الموفقيه بل امتدت يد الاصلاح فى عهده الى المدن التى خربها الزنج فأعاد اصلاحها فقد رحل الى الاهواز التى حولتها الحرب الى أطلال فأمر باعادة بنائها كما أمر باصلاح الطرق المؤدية اليها وكذلك فعل بواسط (١٣٠) .

وفاة أبى أحمد الموفق :

ظل أبو احمد الموفق يمارس مهامه بنجاح ويباشر أمور الدولة حتى نهاية عام ٢٧٨ هـ/ ٨٩٣ م فاصيب بمرض النقرس

---

(١٢٨) الطبرى : المصدر السابق ، ٥٨٥

(١٢٩) الطبرى : المصدر السابق ، ج٩ ، ٥٨٦

(١٣٠) ابن الاثير : تاريخ الكامل ، ج٧ ، ٣٤٨

وانتقل مريضا من بلاد الجبل الى العراق ودخل بغداد فى الثانى من صفر ولم تطل فترة مرضة فمات فى الثانى والعشرين من الشهر نفسه (١٣١) وقد بلغ من العمر تسعة وأربعين عاما استغرق منها عشرين عاما فى ادارة شئون الدولة كقائد سياسى وأمير الامراء وخليفة غير متوج.

من أهم ماقدمه الناصر لدين الله الموفق أنه ضبط الامور فيها ببراعة لم يسبق لها مثيل فى ذلك العصر ، كما استطاع حماية الخلافة من تحرش الاتراك بها ، وأعاد للفرس بعض مجدهم حينما تحسنت علاقته فى أيامه الاخيرة مع عمرو بن الليث الصفار ، ومحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين (١٣٢) يضاف الى ماسبق أنه أكد العهد لابنه العباس من بعد المعتمد فى رجب ٢٧٩ هـ / ٨٩٤ م فكسنت فى خلافته الفتن وصلحت البلاد وارتفعت الحروب وهدأت الأحوال السياسية وخطب أعداؤه وده (١٣٣) ، وانحدرت الخلفاء من صلبه حتى نهاية الدولة العباسية .

---

(١٣١) الطبرى ، تاريخ ، ج ١٠ ، ص ٢٢
(١٣٢) الطبرى : تاريخ ، ج١٠ ، ١١ ، ٢٨
(١٣٣) المسعودى ، مروج الذهب ، ج٤ ، ١٤٣

" مصادر ومراجع البحث "

***

١ـ ابن ابى الحديـد : عبد الحميد بن هبه المدائنى، شرح نهج البلاغـة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط ،١٩٦٠

٢ـ ابن الأثيـر : على بن ابى الكرم الشيبانى ٠ طبعة دار صـادر بيـروت ، المجلد السابع ٠

٣ـ ابن خلـدون : عبد الرحمن بن محمد ٠ تاريخ ابن خلدون وكتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر ، بيروت ١٩٧١ ج٣

٤ـ ابـن كثيـر : عماد الدين اسماعيل ، البداية ولنهاية فـى التاريخ ٠ مكتبة المعارف ، بيروت ج٩ ، ١٠

٥ ـ الأتابكـى : جمال الدين ابو المحاسن بن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٠ المؤسسـة المصرية للتأليف والنشر ٠

٦ـ ابن العبـرى: غريغوريوس الملطى ، مختصر الدول ٠ دارالمسرة بيـروت٠

٧ ـ البلـوى: عبد الله بن محمد المدينى : سيرة أحمد بن طولون تحقيق محمد كرد علـى دار المعارف ١٣٥٨ ٠

٨ـ الذهبـى: شمس الدين كتاب دول الاسلام ج١ ٠ دار احيـاء التراث العربى قطر ١٩٨٨

٩ ـ السيد عبد العزيزسالم : الدكتور ، العصر العباسى الأول ٠ مؤسسـة شباب الجامعة ، الاسكندرية ٠

١٠ ـ السيوطـى: جلال الدين ، تاريخ الحلفاء ط ١ ٠ تحقيق قاسـم الشماعى ، دار القلم بيروت سنة١٩٨٦م٠

١١ ـ الطبـرى: محمد بن جرير ، تاريخ الامم والملوك (تاريـخ الطبرى) ج٩ ، ج ١٠ ، محمد أبو الفضل ، دار سويـدان ، بيـروت٠

١٢ ـ القلقشـــــندى : احمد بن عبد الله ، مآثر الأنافة فى معالم الخلافة
عالم الكتب ، بيـوت ١٩٨٠

١٣ ـ المسعـــــودى : على بن الحسيـن ، مروج الذهب ومعادن الجوهـر
ج٣ ، دار الأندلس سنة١٩٦٦ ٠

١٤ ـ الكــــــندى : محمد بن يوسف المصرى ، كتاب الولاة وكتــاب
القضاه ، مؤسسه قرطبة للنشر ، القاهرة ٠

١٥ ـ اليعقوبـــــى: احمد بن محمد بن واضح ، تاريخ اليعقوبـــــى
المجلد الثانى ٠ دار بيروت للطباعة ، ١٩٨٠

١٦ ـ احمد اميـــــن : ضحى الاسلام ، ط ١٠ ، دار الكتاب العربى، بيروت

١٧ ـ د ٠ أحمد مختار العبادى : الدكتور ، فى التاريخ العباسى والأندلسـى،
دار النهضة العربية ، بيـروت ١٩٧٢ ٠

١٨ ـ حسن ابراهيم حسن : الدكتور ، تاريخ الاسلام السياسى ج٣ ٠ دار الاندلس
بيـروت ١٩٦٥٠

١٩ ـ حسـن أحمـد محمود : الدكتور ، مصـر فى عهد الطولونيين والأخشيديين
القاهرة ١٩٦٠ ٠

٢٠ ـ حسن أحمد محمود : ود ٠ أحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامــــى
فى العصـر العباسى ، ط٣ ، دار الفكر العربى سنــــة
١٩٧٧٠

٢١ ـ د ٠ عبد العزيز محمد اللميلم . الدكتور ، نفوذ الاتراك فى الخلافــــة
العباسية نشر جامعة الامام محمد بن سعود ٠

٢٢ـ محمد جمال الدين سرور : الدكتور ، تاريخ الحضارة الاسلامية فى المشــرق
فى عهد نفوذ الاتراك ط ٣ دار الفكر العربى سنة١٩٧٣

٢٣ ـ ياقوت الحموى : معجـم البلدان ، دار بيروت للطباعة والنشر ٠

٢٤ ـ يوسف العـــش : الدكتور ، تاريخ الخلافة العباسية دار الفكر بدمشــق

٢٥ ـ Le Strange : Baghded During The Abbasid Caliphate , Oxford, 1924 .

٢٦ ـ - Encycleopedia of islam .